

ولقد كانت الشهرة عاملا فعلا في الشعر، حتى عند فحول شعرائنا من شوفي ومن قاربه؛ فإن من المتعالم المشهور، أن الشاعر منهم كان يتوقع الحادث من الحوادث، فيستعد له قبل كونه، بنظم قصيدة فيه، حتى إذا وقع، كانت معدة للنشر، أو لا يعوزها إلا بعض ((الرتوش)). ومن أشهر المثل على ذلك، مراثاة شوقي للمغفور له سعد زغلول باشا؛ فإن الادباء في ابان ظهور هذه المراثاة، أنكروا على الامير أن يقول في ((سعد)) :

شيء عوا الشمس، ومالوا بضحاها *** وانحنى الشرق عليها فبكاهها
ليتني في الركب لما أفلت *** يوشع؛ همت؛ فنادى، فثناها
لأن هذا المطلع، برثاء النساء أشبه:

وظهر - بعد البحث - أن أمير الشعراء كان يتوقع موت أم المحسنين والدة الخديو عباس، فأعدّ لها هذه المراثاة، أو أكثرها؛ فلما توفي سعد قبلها، قلبها رثاء فيه؛ ويؤيد هذا أن في القصيدة أبياتاً غير المطلع، واضحة في نعت هذه السيدة مثل قوله:

كفنها حرة علوية *** كست الموت جللا وكساها
مصر في أكفانها إلا الهدى *** لحمة الاكفان حق وسداها
خطر النعش على الأرض بها *** يحسر الابصار في النعش سناها
جاءها الحق، ومن عاداتها *** تؤثر الحق سبيلا واتجاهها
ما درت مصر بدفن صبحت *** أم على البعث أفاقت من كراها
وقوله في ختامها:

في نعيم □ نفس أوتيت *** أنعم الدنيا فلم تنس تقاها
ذهبت أوابة مؤمنة *** خالصة من حيرة الشك هداها
آنست خلفاً ضعيفاً ورأت *** من وراء العالم الفانى الها